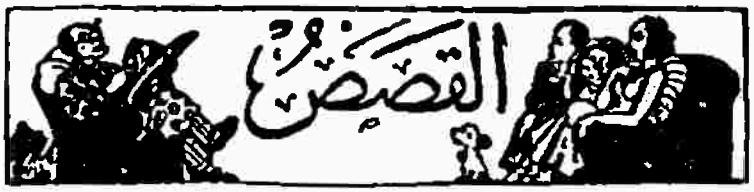

جنـــة ..

الاديب احمد كمال زكى

لاتسألنى لماذا لم أحدثك من قبل بكل ماأحدثك به الآن .. فأنت تعرف من قديم طريقتى الخاصة فى الحياة ، وتدرك أنى فى أغلب الأحيان أوثر نفسى بأشياء أعلم أن ليس فيها غناء لأحد . قل هى رغبـــة مجهولة ، ولكن أرجو ألا تزعم أنى غريب شاذ كما تقول . . .

ثم هل كان ينبغى أن أقول لك أنى معذب ؟ بالله لاتضحك . فقد كنت معذبا حقا ، ألست بشرا كـكل بشر ؟ وماذا فى ذلك هل ثمة مايمنع أن يبكى قلبى وقد ضحك كثيرا ؟ إننى أضرع إليك أن تنصت إلى دون تساؤل أو إثارة . . فبحسبى هذا القلب يضطرم فى صدرى كالأتون !

والآن دعنى أسألك : أتذكر متى حدثتك عن فرقة آوتنى فقلت لك إنها جنة أنيقة معطورة ؟ أرجو ألا تكون نسيت . . فليس يحزننى شىء كما يحزننى مثلك إهمال شئونى وهى جزء من ذات نفسى . فى هذه الفرقة — ياصديقى — تبدأ قصتى ، وكنت وقد ودعت خارجها كل شىء . . حتى صباباتى العابثة .

لقد كنت مرهقا ، وكانت أعصابى فى حاجة إلى أن تستريح وكنت أطمع أن أجد الناس الذين لايعنيهم أمرى ، ولايعترضون سبيلى . . فما أنفقت أسبوعا حتى أدركت أنى أصبحت — لأول مرة — ملك نفسى . فأما صاحب الفرقة أو صاحب المسكن كله فلم يكلف نفسه قط مشقة التحدث فى شىء إلا مسكنه ، وما اجتمع فيه من أسباب الراحة والدعة . وأما زوجه فكانت صموتا صارمة . . كرهت فيها نظراتها النافذة وحركاتها البطيئة ، ولكنها لم تحاول أن تهتك ذلك الستر الذى أقمته بينى وبين سائر سكان « البانسيون »

ولكن حادثة صغيرة غيرت كل شىء . حادثة يعلم الله أنى لم أكن راغبا فيها ، فقد نادت بروحى ثقال ضخام ، وأصبحت لا أريد إلا أغنية رقيقة ترفه عن نفسى وتردهـــا شيئا من قرار أتريد أن تعرف ماهى ؟ لاتتعجل الحوادث .. فانى أرجو أن أقص عليك كل شىء فى ترتيب .

لقـد كنت فى يوم أهبط الدرج حين رأيتها هى . . فتاة فى عمر الربيع . رشيقة خفيفة ، تصخب فيها حياة وافقة حلوة أرأيت إلى عصفور يقفز ذات صباح على أشجار الورد ؟ لقد كانت هى أيها الصديق . .

ورمقتهـا .. ولأمر مالم أستطع أن أطرق ، لا ولاأفسح لها السبيل فالتقى ذراعى بذراعها .. فى لمسة ناعمة هادئة ، وأردت أن أعتذر فهزت رأسها فى وداعة وانفلتت كما تنفلت نسمة بين الزهور وخلفت وراءها سحبة عاطرة .

وماذا تتوقع منى بعد ذلك أيهـا الصديق وأنت تعرفنى كل المعرفة ؟ لقد فـكرة فيها الـكفاية .. وحين عدت إلى جنتى خيل إلى أنى أشم فيها عطرها . وضج قلبى ، وحاولت أن أمسك به . لقد كان يسوقنى إلى مايحب فى إصرار عجيب . وأحسست وأنا واقف بنافذتى بصاحبة الدار تحمل إلى الفداء ، وتوقعت منها أن تقول طاماك . أيها السيد ! ولـكنها لم تفعل وا كتفيت نحوها ثم ... ثم خنقت آهة كادت تثب من حلقى فى دهشة وتمرد . أتدرى لماذا لقـد كانت « هى » ياصديقى . ولم تكن المرأة الصموت الصارمة

اشتعلت أعماقى . . ومات الـكلام على شفتى ، وا كتفيت بالتطلع إليها . ويبدو أن منظرى كان مثيرا ، فقـــد انطلقت تضحك . فسمعت موسيقى ترقص فى أسدائها شباب مندفع يقظ . .

وفى جهد أنتزعت صوتى ، فإذا به همهمة بغيضة قلت لها « أنت ؟ » فأجابت وفى صوتها رنين أنوثة بكر : طبعا أنا . وعدت أسألها حالما أو كالحالم : ومن تكونين ؟ فأجابت فى تردد مستطيل : أنا . أنا أبنة صاحب الفندق . ودفعت بأناملها شعرها ثم أدارت ظهرها وانصرفت خفيفة كما أقبلت .

أتحسب أنى عرفت ماذا أكلت ؟ كلا والله ياصاحبى . . فما كنت بحاجة إلى ذلك وقد تشبثت هى بخيالى وصدرى لاتريد أن

تبرحها . على أنها حين عادت لترفع مائدتي الصغيرة خيل إلى أني أمير أسطورة من أساطير ألف ليلة وإلا بربك ماذا كنت أصور لنفسي وأمامي أنثى فاتنة تقوم على خدمتي ؟

أين كانت هذه الحورية . ولماذا أتت ؟ أكانت الأيام تدخرها لي لتضاعف من هنائي ؟ لعلها كانت في سفر . أو لعلها هبطت من السماء ، فمن يدري . غير أنها كانت على أي حال أينه صاحبي الفندق . وقد أصبحت فاذا يحتويها مسكن يحتويني ، فلا تسل كم رشفت من الطيلسان ، وكم من الأمريكاني تناولت بعد ذلك !!

وتعودت رؤيتها كل يوم ، كما تعودت أن أحادثها ... فآمنت أني بحاجة إليها ، فقد كانت أنثى يعانقها شباب العشرين أنثى عذبة تطوف حولها أحلام بيض ، ويوم حدثتها عن نفسي وأنا آكل قلت لها إني أريد صداقتها . صداقتها فقط .

ورضيت هي بهذه الصداقة ورفعت الكلفة بيني وبينها . وكانت لاتكاد تدخل غرفتي حتى ترمي خارج الباب كل شيء يقيدها وكانت أحيانا تميل على رأسها فتفتر أعصابي ، وأتلاشى في عطرها الترف الرقيق . ولم تكن تعمد مطلقا إلى سحب يدها من يدي حين أمسك بها .

وقنعت بأن أحني منها بذلك ، وأبيت أن أخطو خطوة واحدة . فقد كنت أخشى أن أرتطم بألف سد ، وكان حرصي الشديد عليها يحجم بي عما كنت أظن أنه يؤلمها . ثم كان يجب على أن أدرك أن عين الأم ترقبنا دائما . فلم يحدث أن دعوتها للخروج معي ، ولم تبدر مني بادرة توحي بأني راغب في قضاء سهرة معها . غير أني كنت أحس أنها لن ترفض إذا عرضت عليها عرضا .

إلى أن التقيت بها في إحدى صالات العرض .. وكانت مع أبيها . ورأتني فابتسمت فدنوت منها مترددا وجلا وما رآني الرجل حتى استقبلني مرحا ضاحكا ، واستقبلتني هي في عين راعدة وشفة تختلج إلا أنها لم تستطيع أن تكتم ضحكتها حين اعتذرت عما إذا كنت قد أقحمت نفسي عليها

وعاد الرجل بضحك ، ثم انطلق صوته في سرعة وعصبية ولكنه لم يتكلم في هذه المرة عن مسكنه ، فقد كان وراءه ماهو أهم كما راح يقول ، ولو لاها هي ... لولا ابنته لكان الآن في غير المكان ثم رجاني أن أعودها إذا لم أمانع ، وانصرف قبل أن يعرف رأيي ، وكأنه كان على ثقة من رضائي !

حدث كل ذلك في وجيز وبين دقيقة وأخرى وجدت نفسي معها ، غير أني استشعرت أني وإياها في بحر عريض وسيع ، ولم أدر أين أذهب بها .. لقد كنت أريد أن أبتعد بها عن كل عين ، كنت أريد دنيا لايسعى على أرضها أحد سوانا !

ونظرت إليها .. وكانت هي تتطلع نحوي ، فأسبلت أهدابها وحاولت أن تبتسم . وكانت خجلة على أكبر الظن ، أو كانت مترددة مثلي لاتدري ماذا تقول . واجتذبها من ذراعها وأنا أهمس أتريدين الرجوع ؟ فأجابت في جفوت : وأنت ماذا تريد ؟

ثم قضينا معا أبدع ساعات ثلاث . ولما قفلنا راجعين كادت الدموع تطفر من مآقينا . وعلى الباب تكلمنا كثيرا ، وحاولت أن تشكرني ، فاستوقفتها قائلا : اسكتي .. ودعيني انطلع إليك ، فاني أرى في عينك ديناي !

وكنا في عتمة . وعلى ضوء المصباح الشاحب رأيت هاتين العينين تلمعان ، وأردت أن أقول لها شيئا ، فلم تدعني لأنها . . . لأنها قاطعتني بلثمة مذعورة من ثغرها الدقيق . ثم أنثنت تصعد الدرج مسرعة وأنا خلفها . .

وفي اليوم التالي تحدثنا عن كل شيء ، واستعرضنا ماحدث ولكنا لم نتحدث عن قبلة الليل وكنت سعيدا ، وكانت هي سعيدة وأقسمنا معا أن نظل وفيين أفتحسبنا كنا نلهو أيها الصديق ؟ أما الأم فلم أرها ، وأخبرتني هي أنها غضبى !.. لعل ذلك لأنها كانت مني ، أو لأنها تألمت حين علمت أن زوجها قد بالأمس بعض ماله في غير نفع .

ثم اجترأت ، وحاولت أن أعيد عليها صورة وداعنا وأمسكت بها فتخلصت مني برفق تقول : أرجوك

وتكرر خروجها معي وفي هذه الأثناء كانت صلتي بأمها تزداد توترا ، وكأنما كان بيني وبينها ثأر قديم . لقد كنت ياصديقي أحاول أن أجعلها في جانبي ، ولكنها كانت كالجواد الجموح لايرضيها لين ، ولا تخدعها رقة ، ولا يقنعها تظاهري لها بالخضوع وخيل إلي أنها لاترضى من خروجي بديلا .

وأقسم أن هذه الفكرة روعتني ، وحاولت عبثا أن أقنع نفسي بغير ذلك وفي اليوم الذي ظننت فيه أني موشك على إزالة حدة التوتر سمعت منها رأيها في بصراحة لم تعجبني . وأؤكد لك ياأخي أن صورة صاحبتي هي التي حالت بينها وبين لساني ومع ذلك فقد تفضلت وصارحتني بحاجتها إلى غرفتها .

وفزعت إلى الرجل فنصحني بالتريث ، وتفقدت صاحبتي فلم أعثر لها على أثر . وبدا لي أن العجوز عملت على إبعادها من

طريق . . فهل كانت تدرى صانى بها ؟ أما أنا فقد كنت أوقن أنها لا تعرف شيئا مطلقا . على أنى فى يوم وليلة اعترمت الرحيل!

وأرجو ألا تحسب أن هذا الرحيل كان على سهلا . وكان شىء واحد يشغلنى هو : كيف أتصل بها . وكنت ساهما تائها حين سمعت بابى ينفتح فى رفق ، فالتفت لأرها تدخل ثم تغلق الباب على وعليها . .

قالت : أسترحل ؟ . بالله قل لا ، فأنا أريدك هنا

وقلت لها وهمست : وأمك . . إنها لا تحبنى ولا تريدنى وأطرقت قليلا ثم رفعت رأسها فإذا بدموع غزار تأتلق على خديها وتمزق قلبى أسى وأسفا .

وتقدمت نحوى وانطوت بين ذراعى فى وداعة ، وأخذت تضغط على صدرى كأنما تخشى على شيئا . ورفعت يدى لأمسح دموعها . . ولأول مرة فى حياتى أحس أن شيطانى يتخلى عنى فلا يغرينى بإثم دفىء . ولم تغادرنى إلا بعد أن أخذت منى وعداً بالبقاء . . !

يا صديق . . لاتجعلنى أطيل وقوفى هنا ؛ فيحسبنى أن أقول إنى استشعرت أنى أحبها من أعماق . وآمنت أنها وإن كانت أنثى فهى لم تكن كسكل واحدة . . كان يخيل إلى أنها غير من عرفت ، وكان نجاحها فى قتل غرائزى ما رفعها فى عينى أنا الذى كان ينظر إلى المرأة دائما نظرة جائعة . ملأنى حبها فأحببت روحه . وهل كان فى وسعى أن أنسى هذه الليلة التى جمعتنا فيها ابتهالة مؤمنة طاهرة ؟

إن نفسى أيها الصديق لم تنطو على طيش ونزق . ويوم عرفت أن بجانبى عذراء تريد أن تبقى نقية طاهرة حرصت على أن أصونها ولما رجعنى ألا آتى بما يمكر صفو علاقتنا قررت أن أنتظر . . وفى أثناء ذلك حاولت عبثا كسب صداقة أمها

لقد أصبحت هذه تؤرق مضجعى وتقلق راحتى وكنت من حين إلى حين ألمح ابنتها قارئة فى عينيها توسلا ، وأحس بروحها الآلمة ترجو منى أن أبقى ... من أجلها ! !

وفى ظهيرة أحد الأيام ـ وكانت أمها فى المطبخ ـ دخلت على لهفى جازعة . وفى روعة الفاجأة نسينا أنفسنا فاحتضنا ، ورفعت إلى ثغرها فقبلتها . وارتعدت شفتاها فى همس باك : سأسافر فى الغد ... ولن تبقى أنت أيضاً فلا أريد أن تبقى معها .

فأسرعت أقول : أنهرب .. فلن يمنعنا شىء من ذلك ؛ فأنا أحبك وأريدك لنفسى . فاستضحكت فى مرارة وقالت : أنسيت أنى ... أنى مسيحية ؟ !

وطفرت من عينيها الدموع ، ومالت على تقول : ولكن تذكرنى .. تذكر انى أحببتك حبا باركته الأحلام والدموع والأنات . وانفلتت خارجة ... ولم أرها بعد ذلك !

أجل ياصديقى ... لقد أصبحت فإذا ورقة تحمل عطرها بجانب بابى ، وقرأتها فإذا بها هذه الكلمات « ربما كان هذا كله حلما .. أو ربما كان واقعا غشنافيه . اسأل نفسك فسأسأل أنا نفسى دائما وعزائى أنك كنت معى لطيفا مخلصا »

وقبلت الورقة ، ووضعتها فى جيبى . وانطلقت خارجا ، ولم أعد إلا لأحمل حقائبى .. وتركت جنتى لأعيش على الأرض مع البشر !

أحمد كمال زكى

ادارة البلديات العامة

مبانى

تقبل العطاءات ببلدية طنطا لغاية ظهر ٩ مارس ١٩٥٠ عن عملية بناء دورة مياه لمحطة الكهرباء وتطلب الشروط من بلدية طنطا نظير مائة مليم بخلاف أجرة البريد .

٤٢٣٣

ادارة البلديات العامة

حدائق

تقبل العطاءات ببلدية بور سعيد لغاية ظهر ٩ مارس ١٩٥٠ عن توريد الى قنطار برسيم وتطلب الشروط من بلدية بورسعيد نظير مائة مليم بخلاف أجرة البريد .

٤١٩٥

(نشر بهذا الاعلان بالعدد (٨٦٧) شهر ٩ مارس سنة ١٩٥٠ والصواب ظهر ٩ مارس سنة ١٩٥٠